

فنون

ميرنا الشدياق

زغيب: صوتها وحضورها يختصران أجمل لحظات لبنان
فيروز "وطننا" و"سيّدة سيّداتنا" في الحاضر والمستقبل

88 عاما ولا تزال قبّارة السماء رفيقة صباحاتنا واحلامنا. هي "جارة القمر" و"سفيرتنا الى النجوم". لقد قيل ان صوتها من ضوء ونبراتها من فضة وعالمها الشعري حلم يقظة. ارتبط اسمها بتاريخ لبنان وبناء هوية وطن. غنت للحب والاطفال، للوطن والقضايا العربية، للحزن والفرح والام. انها الايقونة "سيّدة سيّداتنا": فيروز



فيروز في مسرحية بترا عندما انحدرت دمعة على خدها.

”

فيروز تتمتع بموهبة خارقة تلتقط كل جيد لصالح صوتها

“

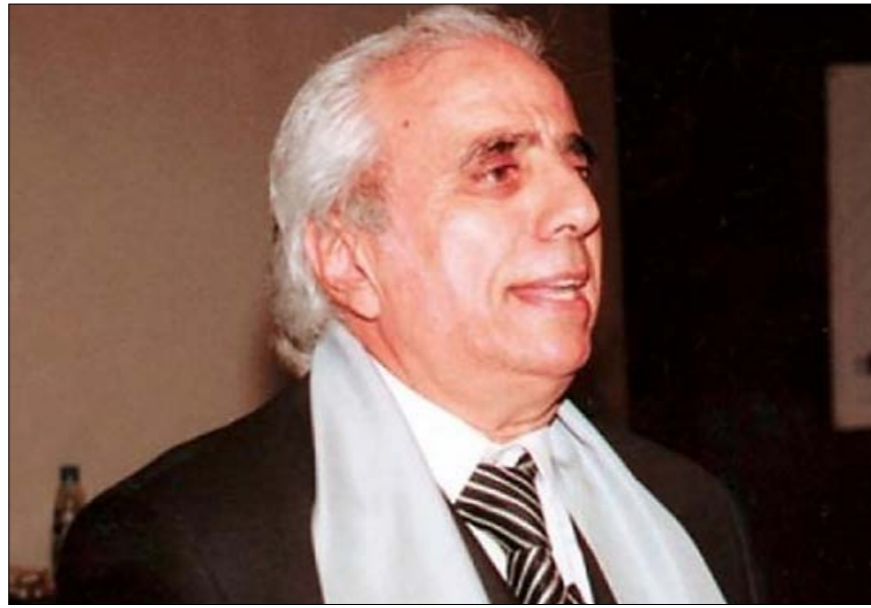
فيروز اسما فنيا. اعطاها من الحانه وغنى معها اغنيتين. جمعها في مكتبه بالعازف والملحن عاصي الرحباني الذي بدأ يعطيها من الحانه اغنيات شاعت، ابرزها "عتاب" التي انطلقت من الاذاعة اللبنانية (1951)، وانتشرت اكثر عند انطلاقها من اذاعة دمشق (1952).

بعد زواج عاصي وفيروز (23 كانون الثاني 1955)، بدأت رحلتها مع المشروع الرحباني المثلث الركائز: عاصي ومنصور كتابة وتلحين، وفيروز اداء قال عنه منصور في ما بعد: "هي ظاهرة لا تتكرر: صوتها مميز، اطلاقه صوتها مميزة، وكل ما جاء في صوتها من خوارق، وما برعت به من صقل وتجارب، جعل منها رمزا من رموز هذا العصر".

تألقت فيروز في اعمال الاخوين رحباني، اذاعيا بضع سنوات، ثم مسرحيا على ادراج هياكل بعلبك (1957) وتوالي الاعمال المسرحية، منها: "البعليكية" (1960)، "جسر القمر" (1962)، "الليل والقنديل" (1963)، "بياع الخواتم" (1964)، "فخر الدين" (1966)، "جبال الصوان" (1968)،

"ناطورة المفاتيح" (1972)، ثم الانتقال الى المسرحيات في بيروت، منذ "هالة والملك" (1967) حتى "بترا" (1977)، وعرضت هذه المسرحيات في دمشق وعمان وسواهما. كما غنت لكبار الشعراء والملحنين من لبنان والعالم العربي.

وكما على المسرح، كذلك في السينما، تألقت



الشاعر هنري زغيب.

عاصي ومنصور كانا يتهيّبان عند كتابة قصيدة تغنيها فيروز

“

قال لي منصور الرحباني عندما كنت اجتمع اليه لكي اضع كتابي "طريق النحل" والذي عدت واصدرت منه طبعة ثانية مزينة ومنقحة بعنوان "في رحاب الاخوين الرحباني": من اول ما جاءت فيروز الى حياتنا، عاصي وانا، جاءت متوجة بالمدح لأن صوتها خضع لأقصى التمارين، وخرج من كل التمارين منتصرا على الصعوبات لأنها تتميز بصوت منفرد وصوت مفرد.

العصر الثاني: احساس فيروز. عندما كنت اشاهد في عمان عام 1977 مسرحية بترا، وصلت ملكة بترا الى المقطع الذي عندما يأتي العسكر الروماني ويخطف ابنتها الصغيرة بترا، كانت تغني لها:

"يا عصفورة البكي

يا زغيرة اغفيلي

واللي بيوجعني اني التهيت وانشغلت عنك وكم مرة بمرة بقول بعوض بكرة تاري الاحبة ع غفلة بيروحوا وما بيعطوا خبر".

عندما وصلت الى هذا المقطع انحدرت دمعة على خدها. التقط تلك اللحظة بالذات المصور فاروجان، وهذه الصورة لا تزال من اندر الصور عن سيّدة سيّداتنا فيروز.

العصر الثالث: لفظ واداء فيروز.

فيروز تتمتع بموهبة خارقة تلتقط كل جيد لصالح صوتها. فيروز تلفظ جيدا ومخارج الحروف عندها ممتازة.

العصر الرابع: فيروز الممثلة.

فيروز الممثلة في كل افلامها ومسرحياتها هي ممثلة بالدرجة الاولى، كما هي مطربة عظيمة بالدرجة الاولى، وهي تعرف كيف تقدم الدور المطلوب. فهي ملكة بترا او الملكة زنوبيا وهي ايضا بياعة بندورة في مسرحية "الشخص" وغيرها من الادوار...

العصر الخامس: المستوى الراقى.

يتمتع صوت فيروز بالمستوى الراقى من حيث الكلمات. فيروز غنت لكبار الشعراء غير عاصي ومنصور، غنت لسعيد عقل غنت للاخطل الصغير وسائر الشعراء الكبار.

اذا، يتمتع صوت فيروز بأنه حمل

■ ما سر هذا الترابط الوثيق بين لبنان وفيروز؟ □ في العادة يكون لكل وطن عنوان، سوى ان لبنان يتميز بأن له عنوانين: الارز وفيروز. هذا ما يوحي لي هذا العيد، عيد سيّدة سيّداتنا التي تختصر فيها صوتا وحضورا اجمل لحظات لبنان الوطن، وان كنت اعتبر ان الذي انهار ليس لبنان الوطن واما لبنان الدولة. فيروز عندما غنت لبنان من الاخوين الرحباني، غنت لبنان الوطن الذي نسعى جميعنا الى ان نبنيه كما بناه لنا عاصي ومنصور الرحباني بصوت فيروز، وطن الحب ووطن السلام ووطن الابداع.

■ كيف تلخص حضور فيروز فنيا؟

□ الخص حضور فيروز بخمسة عناصر:

العصر الاول: صوت فيروز.

والمغرب وافريقيا الشمالية ويفهمها البعيد، لأن لغة الاغاني هي لغة لبنانية مبسطة. وقد دخلت اللغة اللبنانية الى كل العالم ليس فقط الى العالم العربي، ولنتذكر بأن لبنان في الخمسينات والستينات كانت تجتاحه اللغة المصرية او اللغة البدوية في الافلام والمسارح والسينما والحوارات والصحافة، فجاء الاخوان الرحباني ومددا اللغة اللبنانية الى العالم العربي فدخلت هذه اللغة الى كل العالم العربي، مفهومها وتحببها. اي ان ابن المغرب يحب ان يسمع فيروز ليس فقط لأن صوتها خارق او مميز، لكن ايضا لأن مضمون صوت فيروز يجعل الناس يحبون هذا الصوت الذي يحمل اليهم الصورة الجميلة في الشعر الجميل والنوتة الجميلة في اللحن الجميل.

■ لكن ليس فقط العالم العربي، لقد رأينا مثلا فيروز مكرمة مثلا من الفرنسيين؟

□ فيروز مقدرة في العالم خصوصا في اوساط الجاليات اللبنانية في كل العالم، لانها خارج لبنان تعني الوطن للبنانيين المهاجرين. اما غير اللبنانيين، فيحبون فيها هذا الحضور الذي هو حضور "ديفا" غير عادية. والديفا اجمالا تتخطى موضوع اللغة. يعني الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون لا يعرف العربية ولا اللبنانية ولا يفهم ماذا تغني فيروز، ولكنه عندما كان شابا صغيرا وحضر فيروز في الاولمبيا، احس بأنه امام فنانة كبيرة غير عادية وليس مهما ان يعرف الكلمات لكنه احب الموسيقى واحب الصوت الذي يوصل هذه الموسيقى. يعني انا مثلا ممكن ان احب ديفا افريقية او اميركية او اوروبية، وليس من الضروري ان اعرف ما هي الكلمات التي تغنيها. المهم ان الصوت يخترقني فاحبه بصرف النظر عن ما يقول.

■ اذا اردت ان تصف فيروز بكلمة ماذا تقول؟
□ ان فيروز "وطننا".

في هذا الصمت العظيم الذي ليس صمنا بل هو سكوت يعبر عن كلمات اجمل من كل الكلمات.

■ كيف تصف فيروز الانسانية؟

□ فيروز مرحة جدا، مهضومة جدا سريعة البديهة جدا، حضورها محبب كثيرا، انما في حلقة خاصة من الاصدقاء. لم تطرح نفسها على الاعلام الذي فيه الغث والثمين، فيه القمح والزؤان. فلنترك فيروز بعيدة عن الاعلام لأن هذا البعاد يجعلها اكثر ايقونة في قلوب الناس وفي ذاكرتهم. انا مع هذا الابتعاد، ان تبقى فيروز خارج التصرف والسلوك اليومي.

■ ما سر محبة الخارج لفيروز علما ان معظم اغانيها باللهجة اللبنانية؟

□ كتب عاصي ومنصور اللغة اللبنانية المبسطة في لغة بيضاء يفهمها ابن مصر

صورة جامدة في اطار. تحركت فيروز غنت من الكلام الشعبي البعيد عن الشعر. عاصي ومنصور اعطاها شعرا عاليا جدا، ثم جاء زياد فاعطاها كلمات بسيطة من المصطلحات اليومية، واعطاها الحانا من الجاز او من الموسيقى الحديثة التي ادخلت فيروز الى جيل جديد ما كان يمكن ان يحبها لولا اعمال زياد.

■ فيروز بعيدة عن الاعلام والناس، هل هذه الهالة من الغموض هي التي اضافت هذا السحر عليها؟

□ انا مع فيروز في هذا التصرف ان تبقى الديفا الرمز الاسطورة الايقونة، وليس من الضروري ان تعيش بين الناس وان يراها الناس مرة في السوبرماركت ومرة في الفرن ومرة في احتفال عشاء. فلنترك فيروز في بعدها القريب لأنها ساكنة في قلوب الناس وفي وجدانهم، وان تكن هائلة في مملكتها

ان زياد الرحباني ادخل فيروز الى الجيل الجديد الذي لم يكن يعرف فيروز او لم يكن يحب فيروز في اغاني عاصي ومنصور. جاء زياد ونفخ فيها هذا الجديد الشبابي حتى بات الشباب والصبايا يحبون صوت فيروز ويحبون حضور فيروز، مثلما نحن جيل ما قبل هذا الجيل احب فيروز وعاش ونشأ واحب لبنان من خلال عاصي ومنصور الرحباني بصوت الخالدة فيروز. هذا هو فضل زياد الرحباني على الالحن التي اعطاها لفيروز، وانا اعتقد انه كان لا بد لهذه المرحلة ان تكون حتى تتوسع فيروز الى الجيل الجديد الذي هو الجيل التالي بعد الجيل الذي احب عاصي ومنصور.

■ لكن البعض لم يتقبل فيروز مع زياد، لماذا؟

□ يجب ان نترك هذا الامر لفيروز التي لم تشأ ان تبقى صنما موضوعا على رف او

فريد ومميز وخارق، وبالتالي يجب ان يعني هذا الصوت ارقى ما يمكن له من كلمات او حوار مسرحي. الرحابنة، واقصد عاصي ومنصور، اعطيا فيروز ارقى ما لديهما من شعر والحن. لا اعرف شعرا عظيما او لحنا عظيما رحبانيا يعادل او يتجاوز ما اعطياه لصوت فيروز الخالد، وانا هنا اصر على كلمة صوت فيروز الخالد.

■ الفترة الانتقالية بين عاصي ومنصور ومن ثم زياد الرحباني، ماذا تقول عنها؟

□ اولاً، فلنعتزف بأن زياد الرحباني عبقرى غير عادي. انا اعتقد ان زياد في عطائه هو الاقرب من عاصي الرحباني في العائلة الرحبانية، لأن زياد خارق الذكاء، لذلك عندما اعطى امه من الحانه نقل فيروز من اقليم كانت فيه مع عاصي ومنصور الى اقليم آخر هو اقليم الشباب. ما يعني

ارقى المستوى الشعري الى جانب الالحن الراقية جدا والسامقة جدا من عاصي ومنصور واحيانا من الياس الرحباني واحيانا من محمد عبدالوهاب، ثم لاحقا مع فيلمون وهبه وزكي ناصيف. اذا، قيمة صوت فيروز العظيم، وهو عظيم في ذاته، انه غنى ارقى الالحن لكبار الملحنين وارقى الشعر لكبار الشعراء.

■ ماذا تقول عن حقبة التعاون الثلاثي فيروز- عاصي - منصور؟

□ يوجعني ان هذه الحقبة لن تتكرر لأن المعجزة التي تمثلت في الثلاثي عاصي ومنصور وفيروز نادرا ما تصدف ان تكون في بلاد ما، في وطن ما، في بيئة ما بهذا التكامل. يقول سعيد عقل: عندما كان عاصي ومنصور يكتبان حوارا او قصيدة لتغنيها فيروز كانا يتهيبان ذلك. لأن عاصي ومنصور يعرفان انهما امام صوت عظيم

